جامعة الإخوة منتوري – قسنطينة –

قسم الأدب و اللغة العربية

السنة الثالثة ليسانس

تخصص اللسانيات العامة

مقياس النحو الوظيفي – محاضرة –

المجموعة الثانية

الأفواج 7–8–9–10–11–12

الأستاذ فريد فار

مدخل

إن نظرية النحو الوظيفي التي يتزعمها العالم اللغوي سيمون ديك الهولندي، والتي طوعها للنحو العربي أحمد المتوكل تعرف النحو الوظيفي بأنه: "هو النحو الذي لا يقتصر على الدور الذي تلعبه الكلمات أو العبارات في الجملة، أي الوظائف (التركيبية أو النحوية) كالفاعل والمفعول..؛ لأن هذه الوظائف لا تمثل إلا جزءا من كل، تتفاعل مع وظائف أخرى، (مقامية أو تبليغية) هي الوظائف الدلالية والتداولية، بحيث تترابط الخصائص البنيوية للعبارات اللغوية، بالأغراض التبليغية التواصلية التي تستعمل هذه العبارات وسيلة لبلوغها".

ومن ثم فإن هذه النظرية الجديدة، تجاوزت الخطاب اللساني المحلي التقليدي، الذي يربط النحو بمستوى لغوي جزئي من مستويات اللغة، إلى خطاب لساني انتقل فيه مركز الاهتمام من اللغة إلى النحو كنظرية شاملة مهمتها وصف وتفسير ما أصبح يعرف في هذه النظرية بالملكة التبليغية بمكوناتها المختلفة (دلالية، وتداولية، وصرفية، وتركيبية..)، وبذلك فهي توحّد بين لسانيات الجملة ولسانيات الخطاب.

لقد أسهم أحمد المتوكل في حركة التعريف باللسانيات المعاصرة حيث قدم للقارئ العربي نموذجا لسانيا حديث النشأة ألا وهو نموذج "النحو الوظيفي" كما بين ذلك في كثير من كتاباته وأبحاثه أنه بإمكان توظيف هذا النموذج في وصف وتفسير ظواهر اللغة العربية.

إن الدكتور أحمد المتوكل الذي طرح نظرية النحو الوظيفي كبديل عن النظرية النحوية القديمة لا يقصد إقصاءها بقدر ما استفاد منها وحاول تطويرها والاستفادة مما توصلت إلى اللسانيات المعاصرة في ضوء الدراسات اللغوية بقصد ترقية اللغة العربية، كما أشار هو بنفسه في كتاباته إما تصريحا وإما إيماء وتلميحا؛ بأنه يوظف مفاهيم المنهج الوظيفي ـ نظرية النحو الوظيفي ـ فيما توصل إليه النحاة العرب لينتهي إلى مقاربة وظيفية للنحو العربي ومسائله المختلفة.

المحاضرة الأولى – مدخل إلى نظرية النحو الوظيفي:

إن أهم ما يميز اللسانيات الحديثة هو استخدامها المنهج العلمي الصارم في دراسة اللغة؛ حيث أنها تنظر إلى اللغة نظرة وصفية تعتمد على الملاحظة المباشرة للظاهرة اللغوية الموجودة بالفعل، "ولا تهدف إلى وضع قواعد تفرضها على المتكلمين باللغة"

إن اللسانيات الحديثة خلال القرن العشرين مرت بثلاث مراحل كبرى، كان لها الأثر الكبير على المسار العام للسانيات اللغوية خصوصا وتمثلت هذه المراحل في:

- مرحلة البنيوية تزعمها فيردينان دي سوسير.
- مرحلة التوليدية التحويلية تزعمها نوام تشومسكي.
- مرحلة التبليغية تزعامها هيمس.

1 مرحلة البنيوية:

في أوائل القرن العشرين تركزت الدراسات اللغوية في أوروبا على مباحث اللسانيات لإبراز مجموعة من القواعد اللغوية العامة مستنبطة من تحليلات علمية استهدفت مكونات اللغة، فركزت أبحاثها على تقطيع دوال العلامات اللغوية (الكلمات أو الجمل)، وتفتيتها إلى عناصرها الأساسية، باحثة عن العلاقات المنَظِّمة لها والقوانين الداخلية المتحكمة فيها، وبالتالي ابتعدت عما له علاقةبالمدلولات، وكل ما له علاقة بالمرجع؛ لأن العناصر والعلاقات التي ترجع إليها تستعصي على الضبط والتقنين.

وقد تأثر بهذا المنهج لغويون كبار أمثال تروبيسكوي رئيس نادي حلقة براغ، وهلمسليف الدانمركي رئيس نادي كوبنهاقن، ومارتيني زعيم البنيويين الوظيفيين في فرنسا، ومثله في أمريكا كل من بلومفيلد، وهاريس.

والجامع لكل من انضوى تحت راية البنيوية هو هذا التوجه العلمي الصارم الذي أحدث قطيعة تامة مع الدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة، وأسس لمنهج علمي لساني يماثل مناهج العلوم الطبيعية.

2 مرحلة التوليدية التحويلية:

جاءت هذه المرحلة كردة فعل على المرحلة السابقة أي البنيوية التي اكتفت بوصف الظاهرة اللغوية دون أن تقدم لها تفسيرا، وسبب الاختلاف هو اختلاف وجهات النظر إلى طبيعة اللغة، وارتبطت هذه المرحلة بالمنهج التوليدي التحويلي الذي ساد الدراسات اللغوية في نهاية الخمسينيات، وخاصة منذ أواسط الستينيات، فقد تتميز هذه المرحلة بمنهجها العقلي الذي وجه الدراسة اللغوية وجهة جديدة بقيادة نوام تشومسكي.

إن منهج تشومسكي الجديد يصف ويفسر ويعلل ما ظل معروفا بالقدرة اللغوية للمتكلم/السامع، وهي قدرة لا تمكنه من إنتاج مدونة لغوية محدودة فحسب، بل تمكنه من إنتاج وفهم ما لا نهاية من الجمل الصحيحة، على اعتبار أن النحو التوليدي يسعى إلى وصف سليقة المتكلم السامع المثالي اللغوية أي مقدرته الضمنية على إنتاج وفهم عدد غير محدود من الجمل، وعليه يكون النحو التوليدي نظاما من القواعد التي تتكرر باطراد لتوليد عدد هائل وغير متناه من البنيات، وتقوم هذه القواعد على ثلاثة أجزاء تمثل المكونات الأساسية للنحو التوليدي:

المكون التركيبي... المكون الفنولوجي ... المكون الدلالي.

المنهج الجديد رسم تشومسكي اتجاها جديدا للدراسة اللغوية، سار فيه أتباعه أمثال: كاتز، وفدور، ولايكوف، ومكاولي، وبوستال ، وفيلمور، و كونو، وصادوك،... وغيرهم ممن أنتجوا نماذج نحوية في إطار المنهج التوليدي التحويلي بصفة عامة والدلالة التوليدية بصفة خاصة.

إن هؤلاء وغيرهم ممن طور نظرية تشومسكي أدخلوا عنصر الدلالة كمكون أولي أي ضمن البنية العميقة، وبذلك فتحوا الباب على مصراعيه للدلالة، ليس بتكثيف البحوث في مجال الدلالة فحسب، بل بتناولهم مدلول العلامة اللغوية أو ما أسموه بالبنية الدلالية (كلمة كانت أم جملة..)؛ حيث شرحوها وحللوها إلى عناصر سيمية لا تقبل التجزئة، مكتشفين وظائفها وعلاقاتها المنظمة لها، في محاولة علمية جادة لتقنينها تقنينا رياضيا دقيقا، بعد أن كانت مستعصية على التقنين في المرحلة السابقة.

3 مرحلة التداولية التبليغية:

وهي المرحلة اللسانية الثالثة التي دشنها عالم الأجناس الأميركي دال هيمس بشنه هجوما عنيفا على التصور التجريدي الذي انحصر فيه البحث اللساني، سواء مع رائد اللسانيات الحديثة دي سوسير الذي حصر موضوع تنظيره في اللغة دون الكلام، أو صاحب النظرية التوليدية التحويلية تشومسكي الذي قصر موضوع تنظيره على القدرة اللغوية دون الكلام أو التأدية، مما جعل اللسانيات تتحول إلى علم صوري مجرد مغلق ذي إجراءات داخلية خالصة يؤمن بكيانية العبارة اللغوية في مستواها البنيوي الصوري المجرد، مقصيا أحوال التخاطب والمقامات المختلفة التي ينجز فيها.

فقد نهج هيمس وعلماء الاجتماع من بعده اتجاها جديدا للدراسات اللغوية، يقوم على ما أصبح معروفا اليوم بالقدرة التبليغية عوض القدرة اللغوية لتشومسكي التي أضحت أحد مكونات القدرة التبليغية للمتكلم/السامع.

فالنظرية اللغوية عند هؤلاء لا تنحصر فقط في وصف اللغة ككيان مستقل بذاته، بعيدا عن المواقف الاجتماعية والحياتية التي تستخدم فيها وذلك لأنها ليست أنماطا وصيغا وتراكيب مقصودة لذاتها، وإنما هي موجودة للتعبير عن الوظائف المختلفة: كالطلب والترجي والأمر والنهي و الدعاء،... وغير ذلك من آلاف الوظائف اللغوية، فالدراسة في هذه المرحلة تقوم على مفاهيم جديدة وهي الفعل الكلامي، والقصدية، والاستلزام التخاطبي.

وبهذا الانتقاد المشهور لهيمس أعيد الاعتبار للنظريات السياقية، حيث دخلت مجال اللسانيات بقوة كنظريات؛ أفعال اللغة، نظريات التداول والملفوظية، النظريات الوظيفية، وخاصة نظرية النحو الوظيفي لسيمون ديك.

وما يجمع هذه النظريات والدراسات هو تركيزها على مرجع العلامة اللغوية، أو المكون التداولي للكلمة أو الجملة أو النص، الذي أصبح مضبوطا بوظائف تداولية محددة، ترتبط بسياقات، وطبقات مقامية، وبشبكة من العلائق المختلفة، كالعلائق الاجتماعية المنظمة لمقاصد المتخاطبين، والعلاقات المنطقية التي تضبط محاوراتهم.

والخلاصة هي أن هذه الدراسات سعت، وما تزال، لوضع مبادئ عامة تضبط وتقنن بها كل ماله علاقة بالسياق، وقد نجحت فعلا في غزو النماذج التوليدية الأخيرة؛ حيث أدرج المكون التداولي في الجهاز الواصف لأنحائها.

إن المراحل التي مرت بها اللسانيات عبر التاريخ المعاصر والتي تولدت عنها مدارس لسانية حاولت دراسة اللغة كظاهرة اجتماعية دراسة علمية، لم تتعد أن تكون واصفة للغات الطبيعية (المستعملة)، معاينة الوقائع بعيدة عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية.

المحاضرة الثانية – النظريات النحوية الوظيفية

إن النحو الوظيفي شيء، و النحو غير الوظيفي (الصوري) شيء آخر، والفصل بينهما أساسي؛ لأن الخلط بينهما يؤدي إلى قياس تعميمي خاطئ، يجعل كل الأنحاء دون استثناء وظيفية.

ولعل هذا القياس الخاطئ هو الذي قاد بعض الباحثين إلى اعتبار كل النحو العربي القديم نحوا وظيفيا و قاد بعضهم الآخر إلى إطلاق تسمية " النحو الوظيفي" على مؤلفاتهم وأبحاثهم النحوية، و هي في حقيقتها أنحاء صورية (تعليمية)، لا تحمل من الوظيفية سوى الاسم ، و من تعريفاتهم المغلوطة للنحو الوظيفي نذكر :

"بأنه الذي جرد من فلسفة العامل والتخريجات التي لا جدوى منها، والتمس منه ما يعين على صحة الكلام والكتابة وسلامة الضبط" (الجمبلاطي ورفيقه، 1975م، ص: 259).

أنه "مجموعة القواعد التي تؤدي الوظيفة الأساسية للنحو هو ضبط الكلمات ونظام تأليف الجمل ليسلم اللسان من اللحن أثناء النطق، وليسلم القلم من الخطأ عند الكتابة" (إبراهيم، 1978م).

"أن نتخير من النحو الموضوعات الوثيقة الصلة بالأساليب التي تواجه التلميذ أو التي يستخدمها في الحياة العامة مما يساعده على صحة ضبط الجمل والعبارات وتأليفها تأليفا خاليا من الأخطاء" (كخن، 1989م، ص: 58).

فكل التعاريف السابقة الذكر لا تمت إلى النحو الوظيفي بصلة وإنما هي نحو تعليمي أو نحو صوري لا غير، فالنحو الوظيفي يجب أن يتوفر فيه مبدآن أساسيان هما:

- اعتبار الوظيفة التبليغية (التواصلية) هي الوظيفة الأساسية للغة، و أنها تعكس إلى حد بعيد، الخصائص البنيوية للتراكيب اللغوية (صوتية، وصرفية، وتركيبية..)، في الجملة أو النص.
- لا يعد النموذج النحوي نموذجا وظيفيا، إلا إذا أفرد فيه مستوى خاصا للوظائف التداولية، باعتبارها خصائص تسهم في تحديد البنية التركيبية الصرفية للجملة أو النص.

فالمبدآن يقومان على المبدإ الوظيفي العام، الذي ينطلق من اعتبار اللغة نظاما وظيفيا، يرمي إلى تمكين الإنسان من التعبير والتواصل، ودراستها ينبغي أن تراعي ذلك؛ أي أن كل ما يضطلع بدور، في التبليغ أو التواصل ينتمي إلى اللغة، وكل ما ليس له هذا الدور فهو خارج عنها، وهذا ما يضطلع النحو الوظيفي بدراسته.

وبناء على الأساسين السابقين يكون لدينا نحوان؛ نحو وظيفي، ونحو غير وظيفي ويكون تعريف كل واحد منهما على النحو التالي:

النحو الوظيفي : هو النحو الذي لا يقتصر على الدور الذي تلعبه الكلمات أو العبارات في الجملة، أي الوظائف التركيبية (أو النحوية: كالفاعل و المفعول..)؛ لأن هذه الوظائف لا تمثل إلا جزءا من كل، تتفاعل مع وظائف أخرى، مقامية (أو تبليغية: هي الوظائف الدلالية، والوظائف التداولية)، بحيث تترابط الخصائص البنيوية للعبارات اللغوية، بالأغراض التبليغية (التواصلية) التي تستعمل هذه العبارات وسيلة لبلوغها.

النحو غير الوظيفي (الصوري التعليمي): يُكتفى في هذا النحو بتحديد أدوار أو وظائف بنية الجملة (الوظائف النحوية: كالفاعل و المفعول ...)، كما هو الشأن مع النحو القديم الذي لا يُمثل فيه للوظائف الدلالية أو التداولية.

وعلى ما سبق سيكون عرضنا مقتصرا على النظريات النحوية الوظيفية التي يتوفر فيها المبدآن، لقد انطلق التيار الوظيفي مع حلقة براغ في الثلاثينيات من القرن العشرين، و بدأ يشق طريقه مخترقا كل المراحل السالفة الذكر.

المدرسة الوظيفية (حلقة براغ): قامت هذه المدرسة على المبادئ التي أرسى قواعدها سوسير، واعتنى أصحاب هذه المدرسة بالاتجاه الوظيفي الذي يهتم بكيفية استخدام اللغة بوصفها وسيلة اتصال وتبليغ يستخدمها الأفراد للتواصل فيما بينهم، أو في تحقيق التماسك والانسجام في المجتمع ككل، أو وظيفتها في تحقيق المتعة الفنية والجمال في الأدب، وبكلمة مختصرة فإن منهج الدراسة الوظيفية لمدرسة براغ، يقوم على أن اللساني يعتبر اللغة محركا أو آلة، عليه أن يبحث عن وظائفها التي تؤديها مختلفُ أجزائها أو مكوناتها العاملة، وكيف تؤثر طبيعة كل جزء على طبيعة وعمل الأجزاء الأخرى.

وفي الأخير يمكننا أن نقف على أن النظريات النحوية الوظيفية و يمكن أن تصنف صنفين:

صنف مؤسس بدءا تأسيسا وظيفيا، ويشمل: نظرية الوجهة الوظيفية، ونظرية النحو النسقي، ونظرية التركيب الوظيفي، ونظرية النحو الوظيفي.

وصنف مؤسس داخل إطار نماذج نظرية النحو التوليدي التحويلي، ويضم نظريتي البراكمانتاكس، ونظرية التركيبيات الوظيفية.

المحاضرة الثالثة: نظرية النحو الوظيفي

الإطار التاريخي لنظرية النحو الوظيفي:

نشأت نظرية النحو الوظيفي مع مجموعة من الباحثين بجامعة أمستردام يرأسهم الباحث اللساني سيمون ديك الهولندي، حيث قدّم الصياغة الأولية العامة للنحو الوظيفي سنة 1978م، وأرسى أسس النحو الذي يقترحه، وقدّم الخطاطة العامة لتنظيم مكوناته، ولهذه النظرية نماذج كثيرة متعاقبة، وهي نظرية تستجيب لشروط التنظير والنمذجة، وانتقلت هذه النظرية من مسقط رأسها بهولندا إلى أقطار أخرى كبلجيكا، وإسبانيا، وانجلترا...

ودخلت العالم العربي عبر بوابة المملكة المغربية بجامعة محمد الخامس بالرباط، على يد الباحث أحمد المتوكل، لتنتقل إلى غيرها من الجامعات المغربية لترسم طريقا لها إلى بقية البلاد العربية كالجزائر، وتونس، وسوريا، والعراق...

موضوع نظرية النحو الوظيفي:

لم تقف النظرية عند وصف القدرة التواصلية، وإنما وسّعها بالأخذ في عين الاعتبار طاقات ومعارف أخرى، إضافة إلى الطاقة والمعرفة اللغوية (النحوية) ، وذلك من خلال نموذج مستعمِل اللغة الطبيعية؛ ومستعملوا اللغة الطبيعية لا يتواصلون فيما بينهم إلا بخطابات، ولهم قدرة تواصلية متكاملة أي مجموعة من الملكات؛ وهي الملكات المعرفية، واللغوية، والإدراكية، والمنطقية، والاجتماعية... ولا تصل النظرية حدّ التكامل والكفاءة الشاملة إلا إذا رُصدت هذه الملكات كلَّها، ولم تقف عند حدود الملكة اللغوية وحدَها.

فالملكة اللغوية هي التي تمكّن مستعمل اللغة من إنتاج عدد لا متناه من الجمل في مقامات تواصلية متعددة لمعرفته بلغته معجما وصوتا وصرفا وتركيبا، وهي دائمة الحضور في عملية التواصل اللغوي، أما غيرها من الملكات فيلجأ إليها عند الحاجة.

كالملكة الاجتماعية فهي التي تمكّن مستعمل اللغة من ضبط وضع مخاطبه الاجتماعي، وما يقوم بينهما من علاقات أثناء التواصل.

أما الملكة المنطقية فهي التي تمكّن مستعمل اللغة من اشتقاق معارف إضافية من معارف متوفرة لديه بواسطة قواعد الاستدلال.

أما الملكة الإدراكية فهي التي تمكّن مستعمل اللغة من استخدام المعارف التي يستقيها من مواقف التواصل ذاته في إنتاج العبارات والجمل اللغوية، وفي فهمها.

أما الملكة المعرفية فهي التي تمكّن مستعمل اللغة من تكوين مخزون منظم من المعارف اللغوية وغير اللغوية، واستخدامها في إنتاج وتفسير وفهم المزيد من العبارات والجمل اللغوية.

الأسس المنهجية لنظرية النحو الوظيفي:

حاولت نظرية النحو الوظيفي تجميع مبادئ النظريات الوظيفية والتي تتعلق بوظيفة اللسان الطبيعي، وعلاقة الوظيفة بالبنية، ومفهوم القدرة اللغوية، ومفهوم الكليات اللغوية، وعلاقة الوظيفة بموضوع الوصف اللغوي، وعلاقة الوظيفة بالمفاضلة بين الأنحاء وربطها بمفهوم الكفاءة التفسيرية؛ وهذه الأخيرة تجمع ثلاث كفاءات مترابطة ومتكاملة هي: الكفاءة التداولية، والكفاءة النفسية، والكفاءة النمطية.

الكفاءة التداولية:

يقول سيمون ديك معرّفا هذه الكفاءة: "على النحو الوظيفي أن يستكشف خصائص العبارات اللغوية المرتبطة بكيفية استعمال هذه العبارات، وأن يتم هذا الاستكشاف في إطار علاقة هذه الخصائص بالقواعد والمبادئ التي تحكم التواصل اللغوي؛ يعني هذا أنه يجب ألاّ نتعامل مع العبارات اللغوية على أساس أنها موضوعات منعزلة، بل على أساس أنها وسائل يستخدمها المتكلم لإبلاغ معنى معيّن في إطار سياق تحدده العبارات السابقة، وموقف تحدده الوسائط الأساسية لموقف التخاطب"

يؤخذ من التعريف أن خصائص العبارات اللغوية تتحكم فيها عوامل أخرى من الخارج؛ وهي مبادئ تحكم التواصل اللغوي، وبالتالي فإن العملية التواصلية لا تقتضي معرفة لغوية فحسب بل تقتضي معارف أخرى عامة وآنية تخص الموقف الذي تتم فيه عملية التواصل، ومن هنا فإن إنتاج اللغة وفهمها يتمان في إطار تداولي (حوار، سرد...).

الكفاءة النفسية:

يعرّفها سيمون ديك بقوله: "تنقسم النماذج النفسية بطبيعة الحال إلى نماذج إنتاج، ونماذج فهم؛ تُحدد نماذج الإنتاج: كيف يبنى المتكلم العبارات اللغوية وينطقها، في حين تُحدد نماذج الفهم كيفية تحليل المخاطب للعبارات اللغوية وتأويلها، وعلى النحو الوظيفي الذي يروم الوصول إلى الكفاءة النفسية أن يعكس بطريقة أو بأخرى ثنائية الإنتاج/الفهم هذه"

يشير ديك في هذا التعريف إلى العملية النفسية التي يقوم بها الذهن في إنتاج الخطاب أو فهمه أثناء القيام بالعملية التواصلية، وعليه فإن نماذج النحو الوظيفي صيغت على أساس أن إنتاج الخطاب ينطلق من القصد إلى النطق مرورا بالصياغة.

الكفاءة النمطية:

يعرّف ديك هذه الكفاية بقوله: "يزعم المنظرون للسان الطبيعي أن بإمكانهم حصر الاهتمام في لغة واحدة، أو في عدد من اللغات فيما يقارب التنميطيون اللغة مقاربة محايدة نظريا تعتمد منهجا استقرائيا شبه تام.

إن الدراسة التنميطية لا تكون ذات نفع إلا إذا أطرتها مجموعة من الفرضيات النظرية ولا تكون النظرية اللسانية في المقابل ذات جدوى، إلا إذا كشفت عن مبادئ وقواعد ذات انطباقية واسعة النطاق"

من خلال التعريف يتضح أن ديك ينتقد التنميطيين السابقين في اتجاهيهما ويرى بأن تنميط اللغات يجب أن يندرج في إطار نظري ينطبق على أكبر قدر ممكن من اللغات المتواجدة والممكنة، ومن هنا فإن النحو الوظيفي لتحقيق هذه الكفاءة وضع ضابطين هما:

- ربط تنميط اللغات بالكليات اللغوية.
- السعي في إحراز أكبر قدر ممكن من التجريد في صوغ المبادئ والقواعد.

مبادئ نظرية النحو الوظيفي:

يعتمد نموذج النحو الوظيفي على مبادئ منهجية عامة وثابتة لا يحيد عنها، تتمثل في:

1. وظيفة اللغات الطبيعية: للغة وظيفة أساسية تتمثل في التواصل بين المتعاملين بها، وظل هذا المبدأ شعارا يرفعه أعلام المدرسة الوظيفية في الألسنية الحديثة، إلى أن جاء سيمون ديك الذي عدّ كل لغة طبيعيةً هي نظام يحتوي على خصائص بنيوية، هدفها الأساسي تحقيق عملية التواصل بين المتكلمين بها.
2. وصف القدرة التواصلية: واعتمادا على ذلك فكل لساني يريد الدراسة عليه أن يصف القدرة التواصلية بين طرفي العملية التواصلية (المتكلم والمخاطب)، وهذا المبدأ أعاد به سيمون ديك ثنائية تشومسكي (القدرة/الإنجاز).

3 -النظر إلى التركيب والدلالة من وجهة تداولية: التداولية علم ظهر مؤخرا في حقل الدراسات اللسانية، ومن خلاله يطمح النحو الوظيفي إلى تحقيق الكفاءة في الاستعمال التداولي، وبالتالي تحقيق الكفاءة التداولية.

4 -السعي إلى تحقيق الكفاءات: حيث يسعى النحو الوظيفي إلى تحقيق الكفاءات؛ النفسية والتداولية والنمطية.

المحاضرة الرابعة : بنية الجملة العامة في النحو الوظيفي

لقد واكب استعمال مصطلح الوظيفة مفاهيم مختلفة، ويمكن إرجاع هذه المفاهيم إلى مفهومين اثنين؛ الوظيفة كعلاقة، والوظيفة كدور، و المقصود به العلاقة القائمة بين مكونين أو مكونات في المركب الاسمي أو الجملة، وهذا المصطلح بهذا المعنى متداول بين جل الأنحاء مع اختلاف من نحو إلى آخر، وتكون الوظائف علاقات مشتقة حين يتم تحديدها على أساس موقع المكوّنات داخل بنية تركيبية معينة. ويقصد بالدور الغرض الذي تسخر الكائنات البشرية اللغات الطبيعية من أجل تحقيقه.

ومما سبق نجد أن مفهومي الوظيفة كعلاقة وكدور متباينان؛ حيث أن العلاقة هي رابط بنيوي قائم بين مكونات الجملة أو مكونات المركب، في حين أن الدور يخص اللغة بوصفها نسقا كاملا، إلا أن هذا التباين لا يلغي ترابطهما من حيث أن وظيفة اللغة تحقيق التواصل بين مستعمليها تضاف إليها الوظائف التركيبية والدلالية وظائف أخرى، كما يغلب أن تتخذ الوظائف وضع وظائف أولى غير مشتقة.

و **تمر البنية في النحو الوظيفي بثلاث مراحل** يضطلع في كل مرحلة منها ببناء بنية تمثّل لزمرة من الخصائص والمحطات الاشتقاقية، مرتبة على النحو الآتي: البنية الحملية ، والبنية الوظيفية ، والبنية المكوّنية، يتم بناؤها من خلال ثلاثة أنساق من القواعد، هي: **قواعد الأساس** و **قواعد إسناد الوظائف** و قواعد التعبير،ويمكن إيجازها كالآتي:

أولا: البنية الحملية:

وفيها تتمثل الخصائص الدلالية بتطبيق القواعد الأساس الذي يسميه أحمد المتوكل "الخزينة" والمتكوّن من عنصرين : معجم، وقواعد تكوين المحمولات والحدود ، والعنصران هما اللذان يتكفلان بصوغ بنية الجملة الحملية وبنائها.

المعجم: وينقسم إلى قسمين من المعارف:

- معرفة مجموعة من المفردات الأصول التي يتعلمها المتكلم السامع تعلما كما هي قبل استعمالها، مثل: ما هو من باب (فعَل، فعِل، فعُل، وفعلل)؛ أي الأفعال المجردة من الثلاثي والرباعي.
- معرفة نسق من قواعد الاشتقاق تمكنه من تكوين مفردات جديدة لم يسبق له أن سمعها أو استعملها انطلاقا من المفردات الأصول المتعلّمة، مثل اشتقاق ما كان من باب (فَاعَلَ، أفْعَلَ، فَعَّلَ، افْتَعَلَ...) من الفعل الثلاثي وهذا يسمى اشتقاق مباشر، وهناك اشتقاق غير مباشر مثل ما كان من باب (تَفَاعَلَ، تَفَعَّلَ...)؛ لأنها مشتقة من غير الأصول.

فناتج المعجم وقواعد التكوين إطار حملي يمثل للخصائص الدلالية، وهذا الإطار الحملي هو المصدر لبناء البنية الحملية التامة التحديد التي تتم عبر المراحل الآتية:

1. البنية الدلالية للجملة: تقوم على:

محمول يدل على واقعة مثل: (عمل: "شرب زيد اللبن"، أو حدث: "فتحت الريح الباب"، أو وضع: "جلس خالد على الكرسي"، أو حالة: "فرح الولد بلعبة العيد")، ويدخل في هذه المحمولات المشتقات (الأسماء).

عدد من الحدود تدل على الذوات المشاركة في الواقعة الدال عليها في المحمول، وهي بدورها صنفان: حدود موضوعات تسهم في تعريف الواقعة ذاتها (الحد المنفِّذ، والحد المتقبَّل، والحد المستقبِل). حدود لواحق لا يتعدى دورها تخصيص الواقعة من حيث الزمان والمكان والحال؛)؛ وعليه فجملة "شرب زيد اللبن" تشتمل على حدين؛ المحمول الفعلي: (شرب)، الحدان: المنفذ (زيد)، والمتقبل (اللبن)، وقد يكون للمحمول ثلاثة حدود موضوعات، كما في الجملة: "أعطى الغني الفقير ثوبا"؛ المحمول الفعلي: (أعطى)، الحدود: المنفذ (الغني)، المستقبل (الفقير)، المتقبل (الثوب).

حدود لواحق لا يتعدى دورها تخصيص الواقعة من حيث الزمان والمكان والحال، كما في الجملة الآتية: "أعطى خالد محمدا كتابا اليوم أمام المكتبة"؛ المحمول الفعلي: (أعطى)، والحدود الموضوعات: المنفذ (خالد)، المستقبل (محمدا)، المتقبل (كتابا)، الحدود اللواحق: مخصص زماني (اليوم)، مخصص مكاني (أمام المكتبة).

وظائف دلالية: ويقصد بها الأدوار التي يأخذها كل محل من محلات الموضوعات بالنسبة للواقعة التي يدل عليها المحمول وتشتمل على الوظائف الآتية؛ (المنفذ، المتقبل، المستقبل، المكان، الزمان)، وتستند إلى الإطار الحملي حيث يُحدَّد الموضوعُ دلاليا، ومن ثَمّ يأخذ وظيفته الدلالية، وعليه فهي تحدد دور موضوعات المحمول ولواحقه في الواقعة.

فالبنية العامة للحمل في النحو الوظيفي تقوم على: محمول، وحدود موضوعات، وحدود لواحق، إذا كان المحمول لا يتضمن إلا حدود موضوعات فإنه **إطار حملي نووي** ، وإذا اشتمل على حدود موضوعات، وحدود لواحق كان **إطارا حمليا موسعا**.

2. قواعد إدماج الحدود: وتتم بانتقاء من بين المداخل المعجمية الممثّل لها في المعجم، أو الناتجة عن قاعدة تكوين الحد الملائم فيدمج في الحد المعدّ له، فينتج لنا البنية الحملية الجزئية.

3. **بنية حملية تامة التحديد** : وبتطبيق قواعد تحديد مخصص المحمول، ومخصصات الحدود نحصل على بنية حملية تامة التحديد.

ثانيا: **البنية الوظيفية**:

وفيها تتمثل الخصائص الوظيفية بنقل البنية الحملية التامة التحديد إلى **بنية وظيفية جزئية** عن طريق تطبيق مجموعتين من القواعد؛ قواعد إسناد الوظائف، وقواعد تحديد مخصص الحمل.

وظائف تركيبية: وتشمل هذه الوظائف على وظيفتين هما؛ (فاعل، مفعول)، ويتم إسناد هاتين الوظيفتين إلى الحدود في الجملة وفق سلمية الوظائف الدلالية، وهي مفاهيم غير كلية بمعنى أنها غير واردة في كل اللغات الطبيعية.

ويرتبط إسناد الوظيفتين الفاعل والمفعول بنوع الوظائف الدلالية التي تحملها حدود البنية الحملية، وعلى هذا تكون الوظيفتان التركيبيتان الفاعل والمفعول في النحو الوظيفي على الشكل الآتي:

وظيفة الفاعل تسند إلى الحد الذي يشكل المنظور الرئيسي للوجهة التي تقدم انطلاقا منها الواقعة الدال عليها محمول الحمل. ومن هنا فوظيفة الفاعل تسند إلى الوظيفة الدلالية المنفذ، والمستقبل، والمتقبل.

أما الوظيفة المفعول فتسند إلى الحد الذي يشكل المنظور الثانوي للوجهة التي تقدم انطلاقا من الواقعة الدال عليها محمول الحمل. ومنه فوظيفة المفعول في تسند إلى الوظائف الدلالية الآتية المتقبل والمستقبل.

و بإسناد الوظائف التداولية نتحصل على **بنية وظيفية تامة، و** الوظائف التداولية تنحصر في خمس وظائف منها الخارجية (المبتدأ، والذيل، والمنادى)، وسميت بذلك لأنها تُسند إلى مكونات تتموقع خارج الجملة، والداخلية (البؤرة، والمحور)، وهي علاقات تقوم بين مكونات الجملة على أساس المقام الذي تنجز فيه الجملة، بمعنى آخر فهي على أساس البنية الإخبارية المرتبطة بالمقام، وبالتالي فهي تُحدد وضع المكوّنات داخل البنية الإخبارية، فهي التي تقوم بتحديد العلاقات بين مكونات الجملة على حسب التواصل بين المتكلم والمخاطب.

مثال : أعطى الغني الفقير مالا في المسجد مساء.

البنية الحملية النواة :

[[(أ.ع.ط.ى)،(أفعل)ف]،[(س^{1}: إنسان)منف]،[(س^{2}:معطى له)مست]،[(س^{3}: معطى)متق]]

البنية الحملية الموسعة :

[[(أ.ع.ط.ى)،(أفعل)ف]،[(س^{1}:إنسان)منف]،[(س^{2}:معطله)مست]،[(س^{3}:معطى)متق]،**[(ص^{1}: في المسجد)مك]،[(ص^{2}:مساء)زم]**]

البنية الحملية تامة التحديد :

[[**ما.خب.تا**(أ.ع.ط.ى)،(أفعل)ف]،[**ع.مذ.1**(س^{1}:إنسان)منف]،[**ع.مذ.1**(س^{2}:معطى له)مست]،[**ن.مذ.1**(س^{3}:معطى)متق]،[**ع.مذ.1**(ص^{1}:في المسجد)مك]،[**ن.مذ.1**(ص^{2}:مساء)زم]]

البنية الوظيفية :

[[ما.خب.تا(أ.ع.ط.ى)،(أفعل)ف]،[ع.مذ.1(س^{1}:إنسان)منف،**فا**]،[ع.مذ.1(س^{2}:معطى له)مست،**مفع**]،[ن.مذ.1(س^{3}:معطى)متق،**مفع**]،[ع.مذ.1(ص^{1}:فيالمسجد)مك]،[ن.مذ.1(ص^{2}:مساء)زم]].

ثالثا: البنية المكوّنية:

ويقصد بها البنية الصرفية التركيبية بتطبيق قواعد التعبير التي تشتمل على جملة من القواعد وهي:

قواعد صياغة الحدود

قواعد صياغة المحمول

قواعد إدماج مؤشر القوة الإنجازية

قواعد الموقعة

قواعد إسناد النبر والتنغيم[1]

وفيما يأتي هذا توضيح وشرح لهذه القواعد

[1] ـ ينظر: اللسانيات الوظيفية، ص: 160 ـ 181.

قواعد صياغة الحدود:

إن البنية الحملية للحد بنية منطقية تقوم أساسا على مفهوم التقييد؛ تقيد مجموعة بعدد من المقيدات، ومن هنا تتكفل قواعد صياغة الحد بنقل البنية الحملية إلى بنية صرفية تركيبية (مركب) وهذه القواعد تضطلع بنقل الحد إلى مركب، حيث أن:

الحد يتألف من مقيد واحد أو عدد من المقيدات.

يتم إدماج المخصص بدمج المعرِّف (أداة التعريف) الألف واللام في الاسم النكرة.

تَتَرتب المكوّنات داخل المركب بتقديم أداة التعريف على العنصر الرأس الذي يتقدم على العنصر الفضلة.

تستكمل صياغة المركب بإسناد الحالة الإعرابية؛ حيث تسند الحالات الإعرابية [2] طبقا للوظيفة المسندة إلى الحد في مستوى البنية الوظيفية[3]، فكيف تحدد الوظيفة الحالة الإعرابية.

إن الحالة الإعرابية تتفاعل في تحديدها جميع الوظائف وتكون سلمية تحديد الإعراب على الشكل الآتي:

الوظائف التركيبية > الوظائف الدلالية > الوظائف التداولية

- إذا كان المكوّن يحمل وظيفة تداولية فقط فإنه يأخذ الحالة الإعرابية التي تخوله إياها وظيفته التداولية، مثل وظيفة المنادى، ووظيفة المبتدأ، ووظيفة الذيل؛ مثل: يا زيد، أقبل الضيوف، زيد، أبوه كريم، أو نجح، الطالبان.
- إذا كان المكوّن ينتمي إلى الحمل ذاته ولا يحمل إلا وظيفة دلالية فإنه يأخذ الحالة الإعرابية (النصب) التي تخولها له وظيفته الدلالية؛ كالمفعول الأول أو الثاني، مثل: شرب أحمد اللبنَ.
- إذا كان المكوّن يحمل أكثر من وظيفة فإنه يأخذ الحالة الإعرابية التي تقتضيها الوظيفة التركيبية (الفاعل، والمفعول) مهما كانت بقية الوظائف الأخرى، مثل: شرب أحمدُ اللبنَ.

[2] ـ الحالات الإعرابية في نحو اللغة العربية الوظيفي حالاتان كما يرى أحمد المتوكل؛ حالات إعرابية لازمة تلازم المكوّن في كل التراكيب اللغوية لا تفارقه (البناء)؛ فهي مجردة من الرفع والنصب والجر، وحالات إعرابية غير لازمة تتغير بتغيير أوضاع المكوّن الوظيفية وهذه الحالات قد تظهر على السطح، وقد تختفي.

[3] ـ إن الحد يحمل وظيفة دلالية واحدة، او وظيفة دلالية وأخرى تركيبية، أو يحمل وظيفة دلالية، وأخرى تركيبية، وثالثة تداولية.

- إذا كان المكوّن خارجا عن الحمل ذاته فهو غير حامل لوظيفة دلالية أو وظيفة تركيبية، فإنه يأخذ الحالة الإعرابية التي تقتضيها وظيفته التداولية كالمبتدأ؛ زيدٌ، أبوه مسافر، وذلك لأنه خارج عن الحمل وغير حامل لوظيفة تركيبية أو دلالية.
- إذا كان المكوّن غير وجهي أي غير حامل لوظيفة تركيبية فإنه يأخذ الحالة الإعرابية التي تقتضيها وظيفته الدلالية (النصب) أو (الجر)؛ كالمفعول لأجله، أو الحال، أو التمييز، أو الظرف، أو الاسم المجرور، مثل: وقف خالد احتراما لأبيه، قبل الولد مسرورا....
- يأخذ المكوّنان الفاعل والمفعول الحالتين الإعرابيتين الرفع والنصب طبقا وظيفتيهما الدلاليتين، كما يحافظان على الحالتين الإعرابيتين سواء أكانا محورين مثل: متى رجع أحمد من السفر، أو قابل أحمدَ عمرُ. أم كانا بؤرتي جديد، مثل: رأيت زيدا البارحة، وقف أحمد أمام الباب. أم بؤرتي مقابلة، مثل: ما زارني إلا إبراهيمُ، إبراهيمَ رأيت اليوم.

قواعد صياغة المحمول:

لقواعد صياغة المحمول دور في نقل المحمول من صورته المجردة إلى صياغة صرفية تامة وذلك بإجراء مجموعة من القواعد.

إن الصرف في النحو الوظيفي صرفان؛ صرف اشتقاق، وصرف تصريفي؛ يتم الصرف الأول في مستوى الأساس حيث يتم اشتقاق محمولات (أوزان) فرعية من محمولات (أوزان) أصول.

هذه القواعد الصرفية السابقة لا تحدد الصياغة التامة للمحمول إلا بواسطة النوع الثاني من قواعد الصرف حيث تتكفل هذه الأخيرة انطلاقا من المعلومات الواردة في البنية الوظيفية حول مخصص المحمول الصيغي الزمني بإعطاء الصيغة الصرفية التامة صيغة (الماضي)، أو صيغة (المضارع) مجردتين كما في الجملتين الآتيتين: باع التاجر سيارته.

يكتب الطالب بحثا في النحو.

أو مضافا إليها (فعل مساعد) كما في الجملة الآتية:

كان الطالب يكتب بحثا في النحو.

قواعد إدماج مؤشر القوة الإنجازية:

يتصدر الحمل ثلاثة أنواع من المكونات هي:

حدود: مثل الأسماء بصفة عامة (أسماء الاستفهام...) التي يتم إدماجها باعتبارها حدودا، فهي كبقية الحدود.

مؤشرات للقوة الإنجازية: مثل حرفي الاستفهام (أ، هل، أوَ)، حروف الترجي، والتمني، الإخبار...

معلقات دوامج: وهي الأدوات التي تستخدم للربط بين جملتين مثل: أنَّ، والضمائر، والأسماء الموصولة.

وفي الجدول الآتي تقسيم للمكونات الصدور في اللغة العربية:

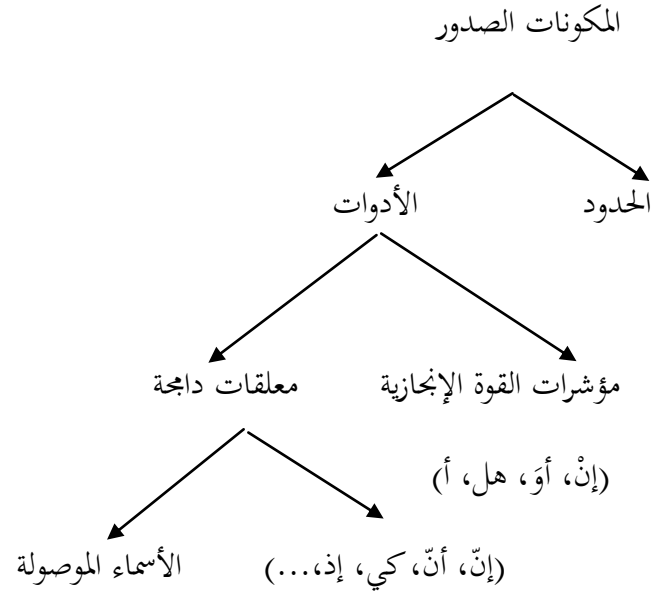

وبعد إدماج مؤشر القوة الإنجازية تصبح البنية متضمنة لجميع مكوناتها، إلا أن هذه المكونات تظل غير مرتبة، الأمر الذي يقتضي إجراء مجموعة أخرى من قواعد التعبير التي تعرف بـ(قواعد الموقعة)[4].

قواعد الموقَعَة:

المواقع في البنية صنفان؛ مواقع داخلية (موقع مصدري [أدوات الصدور]، فعل، فاعل، مفعول)، وموقعان خارجيان (موقع المبتدأ، موقع الذيل).

تخضع قواعد الموقَعَة إلى (قيد أحادية الإسناد أو الموقع)؛ حيث أن هذه القيود هي التي تضبط إسناد الوظائف للمكونات، وعليه فإن قيد أحادية الموقع تشترط أن: لا يحتل الموقعَ أكثر من مكون واحد؛

[4] ـ اللسانيات الوظيفية...، ص: 174.

وبمعنى آخر أن لا يكون للمكون أكثر من وظيفة من كل نوع من الوظائف الثلاثة، فلا يمكن للمكون أن يحمل وظيفتي الفاعل والمفعول في نفس الحمل، كما لا يمكن للموضوع الواحد أن يحمل وظيفتي البؤرة والمحور في نفس الحمل[5].

وعلى هذا فإن تأثير الوظائف الدلالية في ترتيب المكونات يبدو بارزا في النحو الوظيفي، وهذا ما يبين التفاعل بين الوظائف الثلاثة في تحديد المواقع كما هو موضح في سلمية تحديد المواقع:

الوظائف الدلالية > الوظائف التركيبية > الوظائف التداولية.

قواعد إسناد النبر والتنغيم:

يتم استكمال البنية المكونية في النحو الوظيفي بإسناد النبر والتنغيم إلى المكونات، حيث:

يسند النبر المركزي إلى المكون الحامل للوظيفة التداولية (البؤرة) سواء أكان حاملا لبؤرة الجديد، أم لبؤرة المقابلة.

تُجرى قاعدة التنغيم وِفقا لمؤشر القوة الإنجازية.

وبإجراء قاعدتي النبر والتنغيم نحصل على بنية مكونية تامة التحديد يمكن أن تشكل دخلا للقواعد الصوتية التي تنقلها إلى جملة محققة بالفعل الكلامي.

[5] ـ ينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية...، ص: 39 ـ 41.

وفي هذه الخطاطة توضيح للبنية العامة للنحو الوظيفي وأهم مراحله: